

خلافة المنتصر بالله (247هـ - 248هـ)

كان وصول المتوكل على الله الخلافة قد تم بترشيح ومساندة القادة الأتراك ، غير انه ما لبث ان ادرك حقيقة هؤلاء ووضحت أمامه مخططاتهم الرامية الى الاستبداد بشؤون الخلافة وخطرهم الذي تجاوز الحدود ، وعلى الرغم من الموقف الجريء الذي وقفه الخليفة من الأتراك ، الا ان هؤلاء سبقوا المتوكل بتدبيرهم ، فكان قتله بداية النهاية لسلطة الخليفة وقوة الخلافة العباسية وقد انعكست هذه الظروف على الدولة العربية الاسلامية في هذا العصر فرجحت عوامل التفكك وشهدت اقاليم المشرق حركات انفصال عن الدولة فظهر الصفاريون في سجستان و الطولونيون في مصر والشام .

وبعد مقتل المتوكل بايع الأتراك ولده المنتصر بالله (247-248هـ) فكان من الطبيعي أن يكون الخليفة الجديد خاضعا لنفوذ الأتراك فقد استخلف تحت ظلال سيوفهم فلم يكن أمامه سوى الاستجابة لرغباتهم عندما اشاروا عليه أن يخلع اخوية المعتز والمؤيد من ولاية العهد، فاذعن للأمر على كره منه و ذكر الطبري أن المنتصر اراد ان يظهر سخطه على الأتراك ويعتذر لأخويه فدعاهما والأتراك وقابلهما بخوف وقال (أتراني خلعتكما طمع في ان اعيش حتى يكبر ولدي وابيع له والله ما طمعت في ذلك ساعة قط واذا لم يكن في ذلك طمع فوا الله لان يليها بنو ابي احب الي من يليها بنو عمي ، ولان هؤلاء وأوماً الى سائر الموالى ممن قائم وقاعد- والحواء علي في خلعتكما ، فخفت ان لم افعل ان يتعرضكما بعضهم بحديد فيأتي عليكما فما ترياني صانعا فأنكبا عليه وقبلا يده فضمهما اليه ، ثم انصرفا).

وبدا المنتصر يعلن تبرئه من الأتراك وسخطه عليهم وعزمه على التخلص منهم فعزموا على التخلص منه قبل ان ينال منهم ، فلم يحتفظ بالخلافة اكثر من ستة اشهر حيث لقي مصرعه مسموماً على يد طبيبه علي بن طيفور ، بتحريض من القادة الأتراك في ربيع الثاني سنة 248هـ .

خلافة المستعين بالله (248- 252 هـ)

اصبح القادة الأتراك بعد وفاة المنتصر اصحاب السلطة الفعلية في البلاد فاتفقت كلمتهم على توليه احد اولاد المعتصم بالله الخلافة ، فبايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم الذي لقب بالمستعين بالله ، (اوائل ربيع الثاني سنة 248هـ) ، واختار اوتامش وزيرا له ، واحمد بن الخصيب كاتباً ويبدو أن هذا التدبير من جانب الخليفة قد احدث تصاعداً في جبهة الأتراك ، حيث وقف وصيف وبغا الشرابي موقفاً معادياً من اوتامش الذي استأثر بالأموال دونهم ، فلقي حتفه ونهبت امواله بموافقة المستعين ، غير أن الخليفة لم يتمكن من السيطرة على زمام الامور بعد تخلصه من اوتامش ، فقد حل محله القائد التركي باغر الذي شارك في قتل الخليفة المتوكل ، الا ان باغر هذا لم يصمد امام كتلة وصيف وبغا فانتهى الامر بقتله وهكذا اشتد الصراع بين الأتراك حول السلطة بعد ان انقسموا على انفسهم وتوزعوا بين كتل واحزاب متناحرة من اجل الاستئثار بالنفوذ .

وجد الخليفة المستعين انه غير قادر على حسم الموقف لصالحه لطالما بقي في سامراء فقرر سنة ٢٥٠ هـ التوجه نحو بغداد مع انصاره وعلى رأسهم بغا الشرابي ليستعين بأهلها الذين كانوا يتطلعون الى استعادة امجاد بغداد دار الخلافة وعاصمة الدولة العربية الاسلامية ، غير أن الأتراك تحركوا بسرعة باتجاه اعادة الخليفة الي سامراء لما تنطوي عليه هذه الخطوة من أضرار الشرعية على حكمهم ، الا أن محاولتهم هذه اصطدمت بإصرار الخليفة على البقاء في بغداد ورفض العودة الى سامراء فجاهروه بالعداء واعلنوا خلعه و مبايعتهم لأبن عمه المعتز بالله ، فاندلع القتال بين اهل بغداد و اترك سامراء الذين بايعوا المعتز ، وكان المستعين قد اتخذ جملة من التدابير لمواجهة هجوم الأتراك فعمل على تحصين بغداد بتقوية سورها

واتمام استدارتهما ، وحفر الخنادق حولهما ووضع الحاميات على الابواب و جهزت بالمجانيق الضخمة كما احدث الثغرات بمجرى الانهار لقطع الطريق أمام الأتراك ، وأمر بقطع الميرة عن سامراء من الموصل وبغداد .

أما المعتز فقد واصل من جانبه ارسال فرق الجند من سامراء خلال المدة الواقعة ما بين شهر صفر و ربيع الأول سنة 251 هـ فأحاطت هذه القوات ببغداد ، وقد قدر الطبري عدد هذه القوات باثني عشر الف في الجانب الغربي وسبعة الاف في الجانب الشرقي ، وقد ابدى المدافعون عن بغداد شجاعة واستبسال عظيمين، غير ان الخلاف بين القائد التركي بغا ومحمد بن عبد الله طاهر .

قد ادى الى اجبار الخليفة المستعين على قبول شروط الصلح والتنازل عن الخلافة طائعا أو مكرها ، ويبدو أن محمد بن عبد الله كان على اتصال بالمعتز بعد أن رأى أن كفه الصراع تميل الى صالحه ، واصبح المعتز خليفة بعد تنازل المستعين الذي تقرر نفيه الى واسط فرافقه أحمد بن طولون الي منفاه تلبية لرغبته ثم قرر الأتراك قتل المستعين ليستقيم

الامر للمعتز غير أن ابن طولون رفض الاشتراك بقتل المستعين وقال : (لا أراني الله قتلت خليفة بايعت له ابا) ، مما حمل الأتراك على ارسال سعيد بن صالح الحاجب ليتولى حراسته بدلا من احمد بن طولون الذي عاد الى سامراء وقام سعيد بقتل المستعين هذا وحمل راسه الى المعتز وذكر الطبري ان المعتز كافأ سعيدا هذا وامر له بخمسين الف درهم ، وولاه معونة البصرة كما بادر بإرضاء الأتراك وقسم بينهم الإقطاعات ليضمن بذلك واستمرار تأييدهم له .

خلافة المعتز بالله (252 - 255 هـ)

عادت سامراء مركزا للخلافة العباسية بعد مقتل المستعين ، واصبحت كتلة القائدين وصيف وبغا هي المسيطرة على شؤون الخلافة حتى تجاوزا كل حد في علاقتهما بالخليفة المعتز الذي بدا بتطلع الى التخلص من طغيان القادة الأتراك ، فلجا الى تدعيم الجيش بفرق العرب و الفرغانيين ، و لم يلبث أن نجح في التخلص من القائد بغا الذي اغتيل واحرقت جثته وصودرت امواله بأمر من الخليفة .

والواقع أن وجود المعتز في سامراء كان تدعيما لنفوذ الأتراك الذين ازدادت مطالبتهم بالأموال في وقت كانت الخزينة خاوية نتيجة لسوء الإدارة واستمرار الصراع حول السلطة بين القادة العسكريين ، حيث انعكست هذه الأوضاع على الزراعة والتجارة وتعرض الناس للسلب والنهب وتحمل اهل بغداد العبء الأكبر نتيجة تردي الأوضاع ، كما أن بعض مدن العراق الاخرى تضررت من هذه الأوضاع ايضا .

ويبدو أن استفحال الازمة المالية وحاجة الجند الأتراك الى المال قد وحدت صفوفهم وسرعان ما اتفقوا مع فرق المغاربة والفرغانيين فارتكبوا سلسلة من اعمال الفوضى والارهاب ، وقتلوا الوزير احمد بن اسرائيل واعتقلوا الكتاب وصادروا أموال الناس ولم يلبث هؤلاء القادة أن اجتمعوا على خلع المعتز فكانت نهاية مؤلمة لهذا الخليفة دلت على طغيان هذه العناصر الداخلية التي فرضت سيطرتها على الخلافة خلال العصر الثاني وقد اورد الطبري وصفا دقيقا للتعذيب الذي لقيه المعتز على ايدي الأتراك نقلا عن تحرير الخادم الذي كان موجودا في دار الخليفة انذاك فقال : (.... فجروا برجله الى باب الحجرة ،

قال : واحسبهم كانوا قد تناولوه بالضرب بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرق في مواضع
واثار الدم على منكبيه فأقامه في الشمس في الدار في وقت شديد الحر ، قال : فجعلت انظر
اليه يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي أقيم فيه ، قال:(فأريت بعضهم
يلطمه وهو يتقي بيده ، وجعلوا يقولون اخلعها) ولم يزالوا يعذبونه حتى أضطر الى اعلان
تنازله عن الخلافة، غير أن هذا التنازل لم ينقذه من المصير الذي ينتظره على أيدي
الأتراك الذين سلموه الى من عذبه حتى مات في شعبان سنة 255 هـ .